تقارير علمية

المؤتمر العلمى الثانى
التنمية البشرية فى الوطن العربى: الواقع والمستقبل
بيروت (٧-٩ نوفمبر ١٩٩٢).

عرض: أحمد حسن ابراهيم *

عقدت الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية مؤتمرها العلمى الثانى ببيروت فى الفترة ٧-٩ نوفمبر ١٩٩٢، وخصصته لتناول موضوع «التنمية البشرية فى الوطن العربى: الواقع والمستقبل». وناقش المشاركون فى المؤتمر، من تسعة أقطار عربية، أربعة بحوث وثمانية تعقيبات لمعقبين رئيسيين عليها، خصص لعرض ومناقشة كل منها جلسة عمل خاصة به.

والبحوث الأربعة التى ناقشها المؤتمر هى:

١- التنمية البشرية: المفهوم والقياس والدلالة مقدم من الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وعقب عليه ثلاثة معقبين رئيسيين هم الدكتور ربحى أبو الحاج والدكتور طاهر كنعان والدكتور سعيد النجار.

٢- التنية البشرية فى الوطن العربى (التوجيهات الأساسية حتى عام ١٩٩٠) مقدم من الدكتور هشام الخطيب والدكتور اسماعيل الزابرى، وعقب عليه الدكتور مهدى الحافظ والدكتور حامد عمار.

٣- السياسات والطلب على القوى العاملة فى مجال التعاون الخليجى مقدم من الدكتور جواد

* أ.د. أحمد حسن إبراهيم: مستشار بمركز التخطيط العام - معهد التخطيط القومى.

العنانى، وعقب عليه الدكتورة كريمة كريم والدكتور أحمد هنى.

٤- القيم الاجتماعية والثقافية: الانتاجية والإبداع فى المجتمع العربى مقدم من الدكتور منير بشور، وعقب عليه الدكتور حليم بركات.

ولعله يتبين من موضوعات البحوث الأربعة ضعف الصلة المباشرة بينها بدرجة يتعذر معها رصد محاور مشتركة بينها بل ويمكن معها أن يكون كل منها موضوعا لمؤتمر قائم بذاته، ناهيك عن أن موضوعين من موضوعات البحوث الأربعة، هما موضوعا البحثين الثالث والرابع، لا يرتبطان ارتباطا مباشرا أو قويا بموضوع المؤتمر.

ومن بين البحوث الأربعة التى ناقشها المؤتمر استأثر بحث «التنمية البشرية: المفهوم والقياس والدلالة» بالقدر الأكبر من اهتمام ومناقشات أعضاء المؤتمر. ولقد يعزى ذلك إلى المحتوى النظرى لهذا البحث، من ناحية، وإلى تغطيته الشاملة نسبيا للقضية موضوع المؤتمر، من الناحية الأخرى.

ولم يخرج البحث الثانى «التنمية البشرية فى الوطن العربى: التوجهات الأساسية حتى عام ١٩٩٠» عن أن يكون، كما أسماه مقدماه بحق، تقريرا عن أداء العالم العربى فى مجال التنمية البشرية فى الفترة ١٩٦٠-١٩٩٠ يستند بصفة رئيسية إلى تقارير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية، وإلى مصادر دولية أخرى بدرجة أقل.

وانصب اهتمام البحث الثالث «السياسات والطلب على القوى العاملة فى دول مجلس التعاون الخليجى» على دراسة مستقبل أسواق العمل فى هذه الأقطار بادئا بتحليل العوامل الرئيسية المؤثرة فى الطلب على العمالة ثم تحليل إتجاهات عرض القوى العاملة والطلب عليها حتى سنة ٢٠٠٠ بافتراض بقاء المعاملات السلوكية على ما كانت عليه فى عقد الثمانينات. وفضلا عن ضعف الصلة المباشرة بين موضوع هذا البحث وموضوع المؤتمر تأثر استقبال المشاركين ومناقشاتهم له برد الفعل السيئ الذى ترتب على الكشف عن أن هذا البحث سبق تقديمه بنفس حالته وبدون أدنى اختلاف إلى ندوة عقدت بالقاهرة فى ربيع نفس العام وبدون إشارة من الباحث إلى هذه الحقيقة.

وأخيرا ينصب تركيز البحث الرابع «القيم الاجتماعية والثقافية: الإنتاجية والإبداع فى المجتمع العربى «على طرح عدد من الأسئلة عن مفاهيم القيم والإنتاجية والإبداع والعلاقة بينها وعما إذا كان يجوز الحديث عن مجتمع عربى واحد على الرغم مما تتسم به مجتمعات الأقطار العربية من تنوع

وتباين . وعلى الرغم من تقرير الباحث أنه لا يهدف من وراء طرح هذه الأسئلة إلى الإجابة عليها وإنما يهدف من ورائه إلى الوصول إلى جوهر الموضوع الذى يتلخص فى أن الإبداع لا يحدث فى فراغ ولا يحدث فى مناخ يسوده الكبت والسكوت، فقد دلف إلى طرح أفكار يمكن أن تعكس تصوره لمضمون الإجابة على بعض الأسئلة الذى بدأ بحثه بطرحها.

وبالنظر إلى حداثة التناول العربى لموضوع التنمية البشرية الذى خصص المؤتمر لمناقشته، وإلى تباين موضوعات البحوث التى ناقشها، تعددت وتنوعت الأفكار والآراء التى طرحت فيه من جانب كل من الباحثين والمعقبين الرئيسيين على البحوث وأعضاء المؤتمر.ولعله من الغنى عن التنويه أن متابعة لأعمال هذا المؤتمر فى الحيز المتاح لذلك تضيق عن استيعاب كل الأفكار والآراء الهامة التى طرحت فيه. ومن ثم فسوف نركز فى هذه المتابعة على استعراض ما نعتقد أنه أهم تلك الأفكار والآراء مع التأكيد على أن التركيز على استعراضها لا يقلل بحال من الأحوال من شأن وأهمية كثير من الأفكار والآراء الأخرى لا يتسع المجال لاستعراضها.

ويمكن إيجاز أهم هذه الأفكار والآراء فيما يلى:

١- ركزت المدرسة النيوكلاسيكية كل اهتمامها على المبادلة أو على السوق ولم تعر الإنتاج وعوامله أى إهتمام خلافا لما فعله الاقتصاديون الأوائل الذين ركزوا اهتمامهم على الإنتاج فاحتل عنصر العمل موقعا بارزا فى فكرهم ومؤلفاتهم.

٢- كانت بداية الاهتمام بموضوع التنمية البشرية فى الغرب، واقترنت بموجة تمرد الشباب التى اجتاحت كل البلدان الغربية فى عام ١٩٦٨ وكشفت عن حقيقة هامة مؤداها أنه على الرغم مما حققته هذه البلدان من تقدم ومن تحسن فى مستوى معيشة الغالبية من سكانها فقد عجزت عن تصفية جيوب الفقر فيها وعجز تقدمها المادى والعلمى عن إسعاد الإنسان أو ما يعنى أيضا إشباع حاجاته غير المادية.

٣- خلافا للمشتغلين بكافة العلوم الاجتماعية الأخرى لم يعر الاقتصاديون قضايا الإنسان اهتماما نظريا باستثناء مادرجوا عليه من حديث عابر عن تنمية الموارد البشرية بما يعنى اهتمامهم بالإنسان كمورد للتنمية وليس كهدف لها. وهذا أمر يستلزم البحث عن صياغة اقتصادية لمفهوم التنمية البشرية توفر لغة مشتركة للحوار إذا ما أريد لهذا المفهوم أن يعيش ويؤثر.

٤- يفقد أى حديث عن التنمية البشرية كل معنى ما لم يشر إلى الحقوق الأساسية والحريات العامة التى لابد أن ينعم بها البشر ومن بين أهمها حق التحرر من الجوع ومن المرض ومن الجهل والحق فى توزيع عادل للدخل القومى وحق الشعوب فى التحرر من التدخل الخارجى وفى إدارة مواردها الطبيعية.

٥- تتسم أساليب قياس التنمية البشرية فى تقارير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية بالبدائية بالنظر إلى شمول مفهوم التنمية البشرية فى هذه التقارير.

٦- يلزم قياس مخرجات التنمية البشرية وليس مدخلاتها التى ينصب معظم مؤشرات القياس عليها.

٧- لا يستقيم حديث عن التنمية البشرية دون أن يتضمن قياسها قياسا للفقر وبيان آثاره المدمرة على تنمية خمس سكان البشرية، وكذا دون أن يتكامل الرقم القياسى للحرية السياسية مع غيره من مؤشرات قياس التنمية البشرية.

٨- التنمية البشرية أمر لا يمكن شراؤه أو استئجاره أو استعارته من الخارج، ومن ثم فلا سبيل إلى التقدم فيها إلا بالجهد الفكرى والسياسى والعملى المحلى.

٩- لا يمكن تحقيق تنمية بشرية إلا فى إطار تنمية مجتمعية شاملة وكجزء منها. ومن ثم فإنه من المناسب أن تعالج التنمية البشرية كمكون من مكونات التنمية المجتمعية الشاملة وفى نطاقها، وبصفة خاصة إذا ما أخذ فى الاعتبار أن تناول التنمية البشرية كأمر قائم بذاته يهمل البعد التوزيعى المباشر للتنمية الشاملة وينصرف عن الاهتمام بها مع ما يترتب على ذلك فى نهاية الأمر من عجز عن تحقيق التنمية البشرية ذاتها.

١٠- لا يجوز ربط نجاح التنمية البشرية بانتهاج طريق بعينه دون آخر. فعلى الرغم من فشل تجارب التطبيق الاشتراكى ما تزال هناك طرق عديدة للتنمية، ناهيك عن أن الاهتمام المتزايد الذى تحظى به البشرية فى الوقت الحاضر إنما يدل على عجز الليبرالية الجديدة عن أن تكون البديل الصحيح فى هذا السبيل.

١١- ما يزال أداء العالم العربى فى مجال التنمية البشرية حتى الآن متواضعا، ليس بمعايير البلدان المتقدمة فحسب وإنما أيضا بمقاييس البلدان النامية. ويتأكد ذلك من انتشار الأمية وارتفاع نسبتها ومحدودية الخدمات التعليمية والصحية واستيراد العرب نصف غذائهم من الخارج.

ويعزى ذلك إلى عوامل من بين أهمها: تدنى المستوى الذى ابتدأ منه العالم العربى عملية التنمية، وارتفاع معدلات نموالسكان، وتخلف وضع المرأة، وتركز القسم الأعظم من الدخل العربى فى عدد قليل من الأقطار وتركز مصادره فى مصدر واحد هو النفط، وتواضع المستوى الثقافى والعلمى والتقنى، وتواضع أو حتى غياب التخطيط وضعف أجهزة التخطيط.

١٢- توفر البيانات الصحيحة والعناية بإتاحتها للباحثين والمخططين وتطويرها وتحديثها لتكون ممثلة للواقع المعاش. وللنشاط المجتمعى فى مختلف جوانبه شروط تتوقف عل توفيرها مصداقية كل الجهود المبذولة فى مجال القياس من أجل وضع دليل للحرية السياسية أوللتنمية البشرية. وهذه شروط غائبه فى أقطار الوطن العربى.

١٣- الحرية هى شرط الإبداع. وهى بهذا المعنى ليست مجرد حرية شخصية أو فردية، أى إنها ليست قيمة محصورة فى المبدع ومتوقفه عليه، وإنما هى حال فيما يسمى شروط المكان، أى فى الأوضاع التى تحيط بالشخص فتجعل حريته ممكنة، أو تحدها وتكبتها وتقضى عليها.

١٤- أصبحت نظم التعليم فى البلدان العربية آلات ميكانيكية ضخمة تتلقف الناشئة كما تتلقف المصانع المواد الخام فتخضعهم لعمليات تسمى تعليما لفترة من السنوات ثم تقذف بهم إلى الخارج. وتتسم الشروط إلى تحكم هذه العمليات بتجاهلها لشخصية الإنسان كمتعلم وكمعلم وكإدارى، وتربط هؤلاء ببعضهم البعض بأربطة أقرب ما تكون إلى ما يربط العمال بالمادة الخام والرؤساء بالمرؤوسين.

١٥- إن مشكلة الإنتاجية والإبداع ليست فى واقع الأمر مشكلة خاصة بالمجتع العربى ولا بالبلدان العربية وإنما هى مشكلة عامة تنسحب بدرجات متفاوتة على كل المجتمعات المسماة بالمتخلفة والتى تتقارب فيما بينها على نحو يجعل منها مجتمعا واحدا هو المجتمع المتخلف. وفى هذا المجتمع يسود الفقر، ويسيطر القهر ويتنامى الجهل، وتضمر وتتلاشى قيمة الإنسان، وتخبو وتتبدد موهبة الإبداع.

ويختتم المؤتمر الثانى للجمعية العربية للبحوث الاقتصادية أعماله حول «التنمية البشرية فى الوطن العربى: الواقع والمستقبل» التى غلب فيها الطابع النظرى العام على الطابع التطبيقى العربى. وتبقى هناك حاجة إلى مزيد من البحث فى التنمية البشرية من منظور عربى سعيا إلى بلورة مفهوم ومقاييس أوْ مؤشرات لها تتلاءم مع أوضاع البلدان العربية.